Research Journal Ulum-e-Islamia
Journal Home Page: https://journals.iub.edu.pk/index.php/Ulum.e.Islamia/index
ISSN: 2073-5146(Print) ISSN: 2710-5393(Online)
E-Mail: muloomi@iub.edu.pk Vol.No: 30,Issue:01 .(January-June) 2023
Published by:Department of Islamic Studies, The Islamia University of Bahawalpur

مالك بن نبي: فكرته، خطواته وآراءه للنهضة الحضارية

Malik bin Nabi: His idea, steps and views on the Civilizational Revival

Hafiz Ruvaifa Khan
Ph.D Research Scholar, Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad.
hafizruvaifa@gmail.com
Dr. Muhammad Arif
Assistant Professor, Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad.
m.arif@iiu.edu.pk

Civilization is a vast field that can be studied from various angles. This humble work aimed to study the viewpoints of the prominent modern Islamic thinker and their approaches towards western civilization. That known as Algerian scholar Malik bin Nabi, one of the pioneers of the Islamic intellectual renaissance in the twentieth century par excellence, which made him a stranger among his people and his countrymen, not because he called for revising existing political approaches, as he says: If a society wants to make its history, it is not enough to have needs, rather it should have guiding principles , so that he can take the path of liberation from its external and internal restrictions, and that is why Malik bin Nabi says: "If you want to reform the affairs of the state, reform yourself first". Malik bin Nabi also made a very considerable contribution in analyzing the idea of civilization and exploring for the problems of civilization on the one hand, and in emphasizing on the relationship of Muslims to the conditions of the Renaissance on the other hand. He is considered as one of prominent scholars who endeavored to discover Islamic civilization and its spiritual and material mechanisms.

Keywords: Malik bin Nabi, Civilization, Revival, Idea, Strps, Views.

موضوع الحضارة واسع، وله عدة منطلقات بحيث يتعذّر على الباحث أن يتناول جميع المنطلقات في رسالة واحدة، غير أن هذا المقالة يركز على الاستطلاع فكرة مالك بن نبي – المفكر من أعلام الفكر الحضاري المعاصر – ونظرته وآرائه للحضارة الغربية.

مالك بن نبي الجزائري، الذي يعدُّ مفكرا إسلاميا وأحد رُوّاد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين بامتياز ما جعله غريبا وسط قومه وأبناء وطنه، لا لشيء إلا لأنه دعا إلى توجيه الفعل السياسي وأخلقته، إذ يقول: إذا أراد مجتمع أن يصنع تاريخه لا يكفي أن تكون له حاجات، بل ينبغي أن تكون له مبادئ، حتى يمكنه سلك طريق التحرّر من قيوده الخارجيَّة والداخليَّة، ولذا يقول مالك بن نبي: "إذا أردت أن تصلح أمر الدولة فاصلح نفسك". وقدَّم مالك بن نبي أيضا أجود محاولة في تحليل فكرة الحضارة والبحث عن مشكلات الحضارة من جهة، وفي تأكيد علاقة المسلمين بشروط النهضة من جهة أخرى، ويعدها من أكثر المفكرين المعاصرين الذين تنبّهوا إلى ضرورة العناية بمعالم النهضة الحضارة وآلياتها الروحية والمادية، وتحديد مشكلات الحضارة، وتحديدها وبناؤها وقوانينها العلمية والعملية.

- **المفاهيم والمصطلحات**
- **نبذة عن حياة مالك بن نبي**
- **خطة النهضة الحضارية**
- **التجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي**
- **خطوات العلمية والعملية للنهضة الحضارية**
- **النتائج**

1) المفاهيم والمصطلحات:

النهضة لغة واصطلاحا:

لغة: أن لفظة النهضة لم يخرج اللفظ عن الفعل الثلاثي "نهض" والنهوض: البراح من الموضع والقيام عنه، ونهض ينهض نهوضا، وانتهض: أي قام، وأنهضته أنا فانتهض، وانتهض القوم وتناهضوا: نهضوا للقتال، وأنهضه حركة للنهوض واستهضته الأمر كذا إذا أمرته بالنهوض له، وناهضته أي قاومته، والنهضة بسكون الهاء: العتبة من الأرض تبهر فيها الدابة أو الإنسان يصعد فيها من غمض، وجمعها نهّاض[i]. ومنه النهضة هي أن يقوم الشخص من موضعه.

والنهضة من الفعل الثلاثي الماضي "نهض" نهضا ونهوضا أي قام يقضاً نشيطاً، ويقال نهض فلان من مكانه إلى موضع آخر ونهض إلى العدو بادر إلى ملاقاته.

ومن التعبيرات اللغوية المتعلقة بالمادة أيضاً: قولهم: ناهضة الرجل: أقاربه الذي ينهضون لنجدته، وقولهم: استنهضه لأمر كذا: أمره بالنهوض له، وقولهم: أنهض القربة: إذا دنا من ملئها[ii]. ومن مفردات اللغة قريبة المعنى والدلالة من النهوض: النهود (بالدال بدل الضاد)، ويفرق بينهما بأن النهوض: قيام عن قعود، والنُّهودُ: نهوض على كُل حال[iii].

اصطلاحاً: النهضة المقصودة في البحث اصطلاحاً لا يختلف عن المفهوم اللغوي كثيراً، يقول الطاهر بن عاشور: "النهوض ارتفاعٌ من المكان الَّذي استقرّ فيه"[iv].

عرفت رزان محمود إبراهيم النهضة بأنها "حركة دينامكية تاريخية تشكل صراعا لما كان راكدا وتفتيحا لأذهان منغلقة في سجون ضيقة"[v].

أن هناك معنيين اثنين لكلمة النهضة التي تستعملها Renaissance: "الأول هو تجدد وانبعاث الأمة في مجموع أحوالها يدافع عامل أو مجموع عوامل أثارتها وتغلبت على بقية العوامل، أما الثاني فهو الانتباه لوجوب أحداث التعبير ومحاولة الشعور ببداية وقوعه"[vi].

ويعرفها سلامة موسى؛ بأن أوربا هي من أوجدت مصطلح النهضة ومفهومها منذ القرن الخامس عشر حيث يقول: "أن النهضة التي ارتبطت بأوروبا هي الحركة التاريخية أو بوجه أدق هي الانتقال من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي ومن النظام الإقطاعي إلى نظام الرأسمالي والانتقال من الغيبيات إلى العقلانية ومن العقد الإلهي المقدس بين الملك والرعية إلى العقد الاجتماعي بين البشر"[vii].

الحضارة لغة واصطلاحا:

لغة: الفعل الثلاثي لهذا المصطلح هو "حضر"، ومنه تصريفات عديدة. وبالعودة تاريخياً إلى أول معاجم اللغة العربية؛ نجد غياباً لهذه الكلمة، ولقد جرى اللغويّ النّحويّ ابن فارس[viii]، على عادته المبدعة في الكشف عن جذر الكلمة، والجامع لأصولها، والمفرّع لاشتقاقاتها. فقال: "الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، وروده ومشاهدته. وقد جيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحدا، فالحضَر خلاف البَدو، وسكون الحضَر الحِضارة.

قال أبو زيد[ix]: الحضارة بالكسر، وقال الأصمعي: هي الحضارة بالفتح[x]. وقال الصاحب ابن عباد: "الحِضارة، والحَضارة وهي ضد البداوة"[xi]. وعرّف مجمع اللغة العربية، الحضارة بأنها: "مظاهر الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي في الحضر"[xii].

اصطلاحا: عرف ابن خلدون الحضارة بقوله: "الحضارة إنما هي تفنُّنٌ في الترف، وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه"[xiii].

الحضارة: "هي محاولات الإنسان؛ الاستكشاف، والاختراع، والتفكير، والتنظيم، والعمل على استغلال الطبيعة؛ للوصول إلى مستوى حياة أفضل، وهي حصيلة جهود الأمم كلها"[xiv].

الحضارة: "كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه؛ عقلاً وخلُقاً، ومادة وروحاً، دنيا ودينا، فهي – في إطلاقها وعمومها – قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور، وتقلّب الأزمان، وما صُوِّرت به علائقه بالكون وما وراءه"[xv].

الحضارة: "نظام اجتماعي يجمع بين العناصر المعنوية؛ كالأفكار، والعادات، والأعراف، والقيم، والأذواق، والمشاعر، والمفاهيم، والعناصر المادية؛ كالحرف، والمعايش، والمكاسب، والصناعات، والأطعمة، والألبسة، والوسائل، والأساليب"[xvi].

2) نبذة عن حياة مالك بن نبي:

امتدت حياة مالك بن نبي رحمه الله ما بين أوائل القرن العشرين وثلثه الأخير، ولم تنقطع شهاداته الحية على مدى تلك الفترة، من خلال تحاليله الفذة لمجريات الأحداث، ومعالجاته لمشكلات الحضارة، شاهدا على القرن بكل روافده الاستعمارية والثورية، حريصا على نهضة العالم الإسلامي من سباته، منذ عهد ما بعد الموحدين، إلى دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين[xvii].

ولادته: هو مالك (المدعو صديق) بن الحاج عمر بن الخضير بن مصطفى بن نبي، وأمه زهيرة بن عيسى، ولد عام 1905م في مدينة قسنطينة في شرق الجزائر[xviii]، في عائلة فقيرة، وكان هذا هو حال معظم الأسر في الجزائر، هو الابن الوحيد مع شقيقتين،

وقد عاش في قسنطينة في حين أن أسرته رحلت مع عمه الأكبر إلى تبسة، لكن زوجة عمه قامت بإعادته لأسرته في تبسة؛ حيث لم تسمح لها الظروف بإعالته بعد وفاة عمه.

أخلاقه وأوصافه: وهو رجل يميل في قامته إلى الطول، سمته الوقار، كثير الاعتناء بهندامه إذا تحدث انفعل هادئا مع حديثه و بدا كمن يلد أفكارا، أو يتمخض عنها إلا أن جوابه حاضر دون شرود، يستخلص المعنى الكبير من المشهد الصغير بل يستخلص القانون العام من المحادثة العادية، وإن الجالس إليه ليحس أنه أمام مفكر كبير شمولي النظرة، واسع التجربة، يطل على المشكلات من شاهق ، فيتاح له أن يحلل ويركب ولا تحس معه بأية سطحية[xix]. وكان يحرص على أداء شعائره الدينية ويتردد على المسجد، منذ وقت مبكر من حياته وكان عمه محمود يصحبه معه للزاوية العيسوية[xx]، وبذلك يتضح تكوين ذلك الطفل الديني منذ بداية حياته، وتنشئته تنشئة إسلامية.

تعلّمه ونشأته: وتلقى القيم والأخلاق عن جدته "زليخة" التي تُعد مدرسته الأولى، من خلال رواياتها لكثير من القصص والحكايات التي تعزز فيه الخير والصلاح[xxi]، كما كانت والدته تجاهد بمهنة الخياطة لتسد احتياجات الأسرة، ودفع تكاليف مدرسته الفرنسية[xxii]. وقد أكمل مراحله العلمية في تبسة، وميلاد فكره نشأ بين هاتين المدرستين، فعندما بلغ مالك بن نبي سِنّ السادسة من عمره دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية في تبسة؛ إذ تفوّق على أقرانه، وحصل على منحة أتاحت له مواصلة دارسته في المرحلة التكميلية، وانتقل إلى قسنطينة لمدرسة سيدي الجليّ 1921م لمواصلة تعليمه بعد حصوله على الشهادة الابتدائية[xxiii]. وحرص والده على تلقينه الثقافة الإسلامية لدى شيخه عبد الحميد بن باديس في الجامع الكبير، كما حرص على تدريسه الثقافة الغربية على يد "مارتن أنداك" وكانت المدرسة تحت إدارة المدير الفرنسي(louis dournon) . وكان رجلا منفتحا فقد أتاح لمالك بن نبي أن يطلع على الجريدة اليسارية(L humanite) [xxiv].

وتعلم مالك بن نبي القرآن الكريم، وكان يدفع مقابل ذلك أجراً شهرياً يوفره له أهله بصعوبة، ويروى أنه في آخر أحد الأشهر لم يُحضِر المبلغ المطلوب لصاحب الكتّاب؛ لأنَّ تعليمه كان عبئًا إضافيًّا على نفقة أسرته، ولا يزال مالك يذكر أن أمّه عجزت عن تسديد أجرة تعليم القرآن، فدفعت له مقابل ذلك سريرها الذي تنام عليه، واستغرق تعليم مالك بن نبي بالكُتّاب أربع سنوات، ودائما كان يذكر عقم الطرق التربوية التي كانت سائدة في التدريس، مما جعله لم يحفظ من القرآن إلا الشيء اليسير منه، وكان يذهب إلى تعلّم القرآن قبل الثامنة صباحًا وهو موعد دخول المدرسة الفرنسية التي انتسب إليها، وكانت تُشرف عليه معلمته التي أعجبت به وبنباهته فرَعَته، وهي السيدة "بويل"، وكانت المدرسة قد أنشأها الاستعمار الفرنسي لتخريج الطلاب والقضاة للعمل في الأحوال الشخصية، وتمثلت حركة العلماء في العشرينات من خلال شخصية بن باديس، الذي أسس لتيار من التواصل والتعارف؛ تفعيلا لدور العقيدة وتصفيتها من كل الانحرافات[xxv].

وواصل مالك بن نبي تعليمه الثانوي، من خلال الدخول فيما يسمى ب" النظام التكميلي"، فحين لم يستوفِ الطالب معدلًا محدّدا حسب نظام التعليم الفرنسي في الجزائر لا يسمح له الانتقال إلى الثانوية الرسمية، وأقام بالنظام الداخلي بدل إقامته في بيت عمّه، وكانت أوّل سنة دراسية له في الثانوية؛ في المرحلة 1921 – 1922م، وكان دخوله الثانويةَ بمثابة حلمٍ تحقّق، ولم يكن الأمرُ كما كان سهلًا بسب تقدمه في السن قياسًا مع الصف الذي سيدخله، وكانت هذه المرحلة هي الحلقة الذهبية الثانية في تكوينه، فتعرّف على بعض تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذين يشاركونه الخط الفكري نفسه والذي كان قد ألتقى بهم

حينما كان يدور نقاشات بينهم وبين البعثات التبشيرية حول الإنجيل وألوهية المسيح، وكان بداية لانتماء مالك بن نبي لفكر الإصلاح الباديسي في ذلك الوقت[xxvi].

وهناك عامل آخر يعد من العوامل الأساسية في صقل تجربته التاريخية ورؤيته لمسألة الاستعمار والحضارة، ألا وهو عامل الرحلة والهجرة إلى فرنسا أولا من سنة 1930 إلى غاية 1956، هذه المرحلة التي تابع فيها تكوينه الأكاديمي بفرنسا حيث تخرج من معهد الهندسة كمهندس كهربائي، والتقاؤه بزوجته الفرنسية خديجة (إسمها بعد أن أسلمت)، سمح له هذا اللقاء أن يتعرف على وجه آخر من فرنسا، ليست فرنسا الآخر المستعمر، بل الآخر المتمدن والمتحضر، مما ساعده على أن يقف وعن قرب على حقيقة الفكر الحضاري الغربي. ثم رحلته إلى مصر والاستقرار بها حيث عرفت معظم مؤلفاته الظهور والانتشار فيها، كما أنه تمكن بعد الاستقلال من زيارة كل من دمشق وبيروت والحجاز وليبيا والولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من الدول، كالصين والهند، كل هذا أغنى تجربته الفكرية التي لم تتوقف عن الكتابة وإلقاء المحاضرات المتواصلة سواء في بيته أو في الجامعة إلى أن توفاه الله بتاريخ 31 أكتوبر 1973[xxvii].

3) خطة النهضة الحضارية:

إنّ الأساس الذي تقوم عليه الحضارة في فكر "مالك بن نبي" ينطلق من ضرورة وجود إنسان قابل للتحريك، والمحاولة المستمرة للنجاح، يضاف إليه وجود حدود أو وحدة ترابية أو إقليم يمكن تأسيس الفعل الحضاري، إضافة إلى عامل الزمن بصفته عاملا مهما يحدد مدى نجاعة هذا الفعل، واستمراريته، فلكي نقيم حضارة لابد من توافر شروط ثلاثة هي: – الإنسان — التراب – الوقت.

ويقابل هذه الشروط محاور ثلاثة لا يمكن القفز عليها أو تجاوزها أو إحداث تقديم أو تأخير فيها، وهي:

- تكوين عالم الأشخاص.
- تكوين عالم الأفكار.
- تكوين عالم الأشياء.

والعامل المهم في تركيب الشروط الثلاثة الأولى، والمحاور المتممة للبناء هو الدين الذي يقوم بدور المزج والتفعيل حسب "بن نبي" أو ما عبر عنه ب: "مركب الحضارة" الذي ليس في الإمكان تغييبه أو تهميش دوره فهو ثابت، ومؤكد.

يرى مالك : أن كل شعب يجب أن يصنع تاريخه بوسائله الخاصة، وبأيديه ذاتها. والتاريخ في أي مستوى من الحضارة يتم إنجازه، إنما يمثل النشاط المشترك للأشياء والأشخاص والأفكار، المتاحة في ذلك الحين بالذات، أي في نفس الوقت الذي يواكب عملية إنجازه.. والإنسان لا يتصرف كيفما اتفق، ولا دون ما أسباب وإلا جازف بمهمة مستحيلة أو لا معقولة[xxviii].

وفي صياغة أخرى يؤكد مالك على قيمة الفكر: "إن النشاط لا ينطبق إلا من خلال خطة تتضمن في نفس الوقت بالإضافة إلى العناصر المرئية – عنصراً فكرياً – يمثل مبرراته وطرقه التنفيذية – ويلخص كل التقدم الاجتماعي والتكنولوجي لأي مجتمع ويميزه عن غيره من المجتمعات، فتنتمي عناصر النشاط في آخر الأمر إلى فئات ثلاث: فئة الأشياء، وفئة الأشخاص، وفئة الأفكار.. وتكمن جميع الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأي نشاط في شبكة خاصة منسوجة من هذه الفئات الثلاث على بساط أي نشاط عام، وخلال حياة الإنسان تتعايش العوالم الثلاثة جنباً إلى جنب مع تفوق إحداها إلى درجة معينة بحسب نوع الفرد ونموذج المجتمع الذي اندمج فيه، وفي المجتمع الذي يدور فيه عالم الأفكار حول عالم الأشياء تتخذ الميول الفردية نفس الاتجاه[xxix].

ثم يشرح مالك كيفية تعايش هذه الفئات الثلاث على الصعيد الاجتماعي، فيرى أننا لو وجدنا في مكان معين في زمن معين، نشاطاً متآلفاً من الناس والأفكار والأشياء دلنا ذلك على أن الحضارة قد بدأت في هذا المجال، وأن تركيبها قد تم في "عالم الأشخاص" وأن العمل الأول في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه (فردا) Individual إلى أن يصبح شخصاً Personne وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع الى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع. وهذه العلاقات الخاصة بعالم الأشخاص، هي التي تقدم الروابط الضرورية بين الأفكار والأشياء، في نطاق النشاط المشترك الذي يقوم به مجتمع ما، واجتماع الأشخاص في أي ظرف في أي مكان هو التعبير المرئي عن هذه العلاقات في مجال معين من مجالات النشاط الاجتماعي، وجميع صور هذا الاجتماع، هي تعبير عن قد شبكة هذه العلاقات في صور مختلفة، فالاجتماع الذي يتمثل فيه أول عمل يؤديه مجتمع إبّان ميلاده يترجم ترجمة صادقة وقوية عن شبكة علاقاته، وأصدق ما يدل على ذلك في المجتمع الإسلامي اجتماع المسلمين في المسجد في صلاة الجمعة، فهذا الاجتماع يحمل في مضمونه أكبر المعاني التي تذكره بميلاده فهو رمزه وتذكاره، وبذلك نستطيع أن نقرر بصفة عامة أن كل ما يكون صلة من أي نوع في نطاق العوالم الثلاثة؛ عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء وما بينها.. هو في الحقيقة علاقة مشروطة بوجود ثقافة، وبالتالي تكون جميع أشكال الاتصال الفكري كالفن أو اللغة (من باب أولى) علاقة اجتماعية[xxx].

وهذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج من عالم الأفكار، يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء، من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص والعمل التاريخي بالضرورة من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعاً، ومعنى هذا أنه لا يمكن أن يتم عمل تاريخي إذا لم تتوفر صلات ضرورية داخل هذه العوالم الثلاثة لتربط أجزاءها في نطاقها الخاص وبين هذه العوالم ، لتشكل كيانها العام من أجل عمل مشترك[xxxi].

فعلى سبيل المثال: إن الشخص في ذاته، ليس مجرد فرد يكون النوع، وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة وهذا الكائن هو في ذاته نتاج الحضارة، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء – وبعبارة أخرى: كل من العوالم الاجتماعية الثلاثة يتفق مع الصيغة التحليلية الآتية: ناتج حضارة – (إنسان + تراب + وقت) (وقد عرضنا لهذه المعادلة) وهذه العلاقة العضوية التاريخية تتجلى في كل عنصر من عناصر المجتمع الثلاثة لتؤكد وحدة تأثيره منفرداً، كما تتجلى في علاقاته بالعنصرين الآخرين، لتؤكد وحدة تأثيرها مجتمعة، وهي تتجلى بصفة خاصة في الإطار الشخصي للفرد حين تقدم له بصورة ما جوهر نظام علاقاته الاجتماعية، وخلاصة القول أن أصل شبكة العلاقات الاجتماعية، الذي يتيح لمجتمع معين أن يؤدي عمله المشترك من التاريخ، إنما يكمن في تخلق تركيبه العضوي التاريخي، وعلى هذا فإن تاريخ هذا التركيب هو الذي يفسر أصله، كما يحدد في الوقت نفسه طبيعة العلاقات الاجتماعية لحظة نشوئها[xxxii].

يؤكد مالك في هذه الفقرة على أن فعالية العمل الاجتماعي تتحدد من خلال إيجابية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ولا يتم ذلك بمعزل عن التركيب الحضاري لتاريخ هذا المجتمع، ولا يمكننا فهم حركة الحضارة في غياب تركيبها الذي هو في الوقت نفسه يحلل ويفسر طبيعة العلاقات داخل الكيان الحضاري.

ثم يرى مالك، أن العلاقة الفاسدة في عالم الأشخاص لها نتائجها السريعة في عالم الأفكار، وفي عالم الأشياء، والسقوط الاجتماعي الذي يصيب عالم الأشخاص يمتد لا محالة إلى الأفكار وإلى الأشياء في صورة افتقار وفاقة، ويعطي مثالاً لذلك، من دول العالم الثالث، حيث يرى أن بعض الساسة في بعض البلدان الإفريقية والآسيوية، يحاولون في الميدان الاقتصادي تطبيق حلول فنية ينبغي إذن أن تتكيف مع نفسية البلد الذي تطبق فيه ومع مرحلة تطوره، كما أن "الانا" ينبغي أن تتكيف طبقاً للحلول الفنية التي

يحاول تطبيقها، ففي الحالة الأولى يكون تناولنا للأشياء من وجهة نظر مرضية وفي الحالة الثانية يكون تناولنا لها من وجهة علاجية، وكلا الجانبين ينبغي ألا ينقله عن الآخر، إذا ما أريد علاج حالة مجتمع يقاسي لوناً مع من الاضطراب في شبكة علاقاته الاجتماعية، وتلك حالة تستوجب أقصى ما يمكن من الاهتمام والعناية، لأن كل علاقة فاسدة بين الأفراد تولد فيما بينهم عقداً كفيلة بأن تحبط أعمالهم الجماعية، إما بتصعيبها أو باحالتها [xxxiii].

هذه المعادلة بين العناصر الثلاثة: الأشخاص والأفكار والأشياء، تلزمنا – ومن خلال واقع التخلف الذي يعيشه العالم الإسلامي – أن تستوعب هذا الواقع من خلال رؤية موضوعية تحلل اسباب التخلف من أجل تجاوزه، فعالم الاشخاص في العالم الإسلامي تقوم فيه الفوضى على كل صعيد وتأخذ أفراده الآثرة فلايستقيم فيه أمر.

4) التجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي:

يرى مالك بن نبي أن من شروط قيام النهضة وتألف الحضارة هو التجديد الدائم لمكتسباتها مثلما هو الحال في خلية مجتمع النحل التي تحافظ على حيويتها بسبب تضافر جهود عاملاتها "فالتجديد الحضاري لا يكون وراء تكوين حضارة فحسب بل يكون كذلك شرط تطورها، وما دام التجديد هو إنشاء شيء جديد في الجانب المادي أو المعنوي فإن تطور الحضارة يعني تجديد جانبها المادي والمعنوي باستمرار"[xxxiv].

ويذهب مالك بن نبي إلى ابعد من ذلك "فالحضارة في منظوره كي تثبت لدى أمة لابد من توفر شروط لها تستند عليها في استمراريتها وهي ذات أبعاد تاريخية، نفسية، واجتماعية، تبدأ في ميلادها كفكرة ثم تتطور كنسيج ذا طابع اجتماعي"[xxxv]، وبالتتبع لمسار بعض المفكرين نجد مثلا أن المذهب الاشتراكي بدأ في أوله كفكرة جاء بها كارل ماركس ثم انتشر عبر بقاع نظم العالم، إلا أن الأمر يختلف في طبيعة، وأصل المنطلق بالنسبة للحضارة الإسلامية التي منطلقها إلهي المصدر وتجمع في استمرارية تواجدها بين توازن كفتين؛ إحداهما مادي دنيوي يعمر الحياة وينمو بالخير وبعبادة الله الواحد الأحد وبالاجتهاد فيها تتحقق الكفة الثانية المتمثلة في الدار الآخرة توازنها، وكأن مالك بن نبي بتوضيحه لهذه الفكرة يعطي للحضارة نمط حياة الإنسان وتاريخه فتتمايز الحضارات حسب إستراتجية التجديد والبناء القائم على التخطيط وربط المبادئ والأفكار بالأهداف والغايات.

البعد الأخلاقي للتجديد الحضاري حسب مالك بن نبي:

يبحث مالك بن نبي من خلال هذا المطلب كشرط لتحقيق النهضة إلى وجوب تحطيم الوضع الموروث من فترة التدهور والانحطاط بواسطة فكر جديد حيث يقول: "من أول واجباتنا تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي والاجتماعي، مما فيه من عوامل قتالة ورمم لا فائدة منها، حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة"[xxxvi]، وعليه فإن أغلب ما ألفه بن نبي لا يبتعد عن الفكر والإبداع في كل المشكلات الحضارية التي تطرق لها، كما يرى أن القانون الأخلاقي الذي تتضمنه العلاقة الاجتماعية التي هي في جوهرها قيمة ثقافية وعامل قوي يؤدي دورا ريادي في المحافظة على تماسك المجتمع ويضرب مثلا عن ذلك في سمو الخلق الذي تميز به الأنصار عند استقبالهم للمهاجرين في الرعيل الأول حيث وصلت بهم درجة الإيثار إلى أن تقاسم الرجل ماله مع أحد الصحابة بل وأحد زوجاته، كل هذا من أجل خدمة فكرة وهدف رسالي أسمى للتمكين لهذا الدين الجديد الذي أحدث ثورة على التقاليد والقيم الذي سبقته في الجاهلية فرفض منها ما استهجنه وثمن قيما أخرى كالكرم، ونصرة المظلوم. فحقق المجتمع آنذاك بهذه التصفية وصفا جديدا بقيم ومعايير جديدة أثمرت تواجد دولة إسلامية قوية لفترة طويلة، وهو بذلك يدعو إلى وجوب ترقية الفكر من أجل التوصل

إلى النهضة، فيقول: "لا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية ولم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارة أو تهدمها"[xxxvii].

مكانة ودور الأفكار في بناء الحضارة:

يعطي مالك بن نبي للأفكار مكانة أرقى في تكوين جسم الحضارة إذا اعتبرناها كالجسم الحي حيث "إذا كانت الحضارة في بعدها التشبيهي الوظيفي عند مالك بن نبي تمثل الثقافة، والثقافة تمثل الدم الذي يغذيها، فإن الأفكار تمثل جيناتها وبرنامجها الوراثي"[xxxviii]، وحسب هذا التحليل فإنه يبدو جليا أن هذا المحلل التاريخي للحضارة أعطى للأفكار قيمة رفيعة ونبيلة بل واعتبرها أساس تكوين هذا الجسم الحي إذ توازي مكانة العقل والروح للجسم فبدونهما لا تدب الحياة بهذا الكائن العجيب وهو يعتمد في ذلك على مبرراته التاريخية التي أخذها من تعاقب الدول والحضارات، كما يعتبر القيم للأمة أفكارا للنماذج المثالية الأصلية التي تتوارثها الأجيال عبر العصور وهي التي بفضلها يحافظ المجتمع على بقائه واستمراريته في الحياة، فهي مطبوعة بذاكرته الأخلاقية وفي تفسيره لعالم الأفكار يحدد مالك بن نبي نوعين آخرين للأفكار يظهران في المجتمع من تطوره التاريخي هما:

أفكار عملية: تهتم بالجانب المادي (عالم الأشياء) في المجتمع وتعني التقنية والوسائل المنتسبة من خلال الأبحاث العلمية والتي يعتمدها الجيل بعد ما يكيفها مع واقعة المعاش للتلاءم مع مسيرته في الحياة "يواجه كل جيل بوسائله التقنية الظروف الخاصة بتاريخه، بعد أن يدخل عليها تعد بلا أقل أو أكثر يلاءم مسيرته"[xxxix].

أفكار موضوعة: ويظهر هذا النوع من الأفكار كلما ابتعد المجتمع عن نقطة انبعاثه الأولى أثناء مسيرته التاريخية، إذ يسحبه ابتعاد تدريجي عن النماذج المثالية التي تعبر عن الأفكار المطبوعة، فيستفحل تأثير الأفكار الموضوعة حين إذ لتألفه التربة الثقافية الأصلية رغم أنها دخيلة "ويبلغ هذا الابتعاد ذروته عندما يدخل المجتمع مرحلة الغريزة إذ تمحي عندئذ النماذج المثالية وتخون الأفكار الموضوعة الأفكار المطبوعة"[xl].

العالم الإسلامي إلى التقدم الحضاري:

وقد دعا مالك بن نبي العالم الإسلامي إلى محاولة السير في ركب التقدم، وضرورة الاختيار بين النماذج الثلاثة التي عرضها والتي تمثل التقدم الحضاري، ودعانا إلى الأخذ بالتقدم الغربي في الحضارة، لكن مع مراعاة أصالتنا وعاداتنا وتقاليدنا، ليس أخذ التقدم الحضاري باندفاع وتهور وبدون تمييز، بل بالفحص والتدقيق، وأخذ ما يناسب فكرنا الإسلامي وثقافتنا، وهوما نستطيع أن نطلق عليه قضية الأصالة والمعاصرة، أي الآخذ من الغرب ما يصلح لبيئتنا العربية الإسلامية، وما يتفق مع قيمنا ومبادئنا الإسلامية، وهنا التوازن الذي يدعوإليه مالك بن نبي مرارًا وتكرارًا، محاولة أن نحقق التوازن الحضاري، لا نرفض كل ما يجئ من الغرب لكونه من الغرب، ولا نهلل ونرحب بكل ما جاء من الغرب لكونه من الغرب، وهذا التوازن يحقق الهدف من النهضة الإسلامية، التي تحاول أن تجمع عناصر حضارية غربية، وفي نفس الوقت تحافظ على القيم والمبادئ والثقافة الإسلامية. والطامة الكبرى في رأي مالك أننا كعالم إسلامي لم نختر أي نموذج من النماذج الثلاثة التي أشار إليها مالك في حديثه [xli].

تلك هي رؤية مالك بن نبي لواقع النهضة الإسلامية، والتي يرى أنها ثمرة للمحاولات التي قامت بها الحركات التاريخية في العالم الإسلامي المتمثلة في تياري الإصلاح والحركة الحديثة. ويرجع مالك الحركات التي قامت للنهوض في العالم الإسلامي إلى تيارين[xlii]:

الأول: تيار الحركات الإصلاحية: ويعني بها جميع الحركات التي قامت في العالم الإسلامي والتي تنادي بالعودة إلى الإسلام، والنهوض على أساس ذلك. ويرى أن هذا التيار مرتبط بالضمير المسلم، وهوأقرب لتحقيق فكرة النهوض من التيار الآخر.

الثاني: تيار الحركة الحديثة: ويرى أنه أقل عمقا وأكثر سطحية، وهويمثل مطامح طائفة اجتماعية جديدة تخرجت في المدرسة الغربية، ويقصد به جميع الحركات التي قامت تنادي بتبني الحضارة الغربية مع التنكر للأصول الإسلامية.

عوامل تجدد الحضارة:

ولكن كيف يستعيد الكيان الحضاري ذاته؟ وكيف يتغلب الإنسان على عوامل السقوط الحضاري؟ يقدم لنا مالك صورة تدعو إلى الأمل الحضاري في مقابل التدهور والسقوط: "إن العواصف الجوية والأعاصير تجر معها غالباً سيولاً هائلة من الماء، سيولاً تترك وراءها في البلد الذي تجتاحه، الخراب والموت، ولكنها تترك أيضاً على وجه الأديم طمياً تتجدد به الحياة في هذا البلد، فتنشط وتنمو فيه الطبيعة الجديدة بأنواع النبات والحيوان المتجدد، فكذلك شأن الأحداث الكبرى في التاريخ إنها تجر وراءها الموت والخراب، وتخلف طمياً مخصباً طمياً من دماء الشهداء والأبطال، ولكنها تخلف أيضاً طمياً من نوع آخر تخلفه في العقول، حيث تترك بذوراً تنبعث منها الأفكار التي تغير مجرى التاريخ ووجه العالم"[xliii].

لذلك فإن على الإنسان المسلم أن يطرح بعث الحضارة بمنطق البقاء حتى يستطيع أن يتقدم إلى الأمام، وحتى يستطيع أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة، ويجب على المسلم أيضا الذي يضطلع برسالته أن يفكر في اعجازه – أي في إسلامه – وإعجازه لا يتأتى إلا بتحقيق شرط جوهري، وهو تغيير ما بنفسه وتغيير ما في محيطه مصداقاً للآية الكريمة: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الرعد: 11. ولا يمكنه أن يغير شيئاً في الخارج إن لم يغير شيئاً في نفسه. وحينما نقول هذه الكلمة نقولها باعتبارها علماً، ولا نقولها فقط تبركاً بآية، نقولها "علما" ونعلم مقدارها من الصحة، حيث لا يستطيع المسلم أن يغير ما حوله إن لم يغير أولاً ما بنفسه، فهذه حقيقة علمية يجب أن نتصورها كقانون إنساني وضعه الله عز وجل في القرآن كسنة من سنن الله التي تسير عليها حياة البشر، وإذن لكي يتحقق التغيير في محيطنا، يجب أن يتحقق أولاً في أنفسنا وإلا فإن المسلم لن يستطيع إنقاذ نفسه ولا إنقاذ الآخرين[xliv].

وعندما يقول الحق تبارك وتعالى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} فإنها ترد في هذا الإطار القرآني تعقيباً على تجربة المسلمين التاريخية في أحد: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ..... وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} آل عمران: 137 – 141.

إن القرآن يطرح في هذا المقطع التاريخي ذي المغزى العميق، والذي ترد فيه كلمات ذات علاقة عضوية بالمسألة مثل: سنن، مداولة، تمحيص.. قاعدة أساسية في موقفه إزاء الدول والتجارب البشرية والحضارات إنه يقرر منذ البدء عدم ديمومة أي من هذه المعطيات ولا يستثني الإسلام والمسلمين، {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} وقد قال بين الناس، بمعنى عموم هذه السنة التي لا محيص عنها، والتي تقوم بلا ريب على أسبابها ومقدماتها في صميم الفعل الإنساني نفسه، حيث توحي هذه المداولة بالحركة الدائمة وبالتجدد وبالأمل البشري الذي يرفض السكون، ويرغب في الانطلاق نحو الفعل الحضاري الإيجابي الذي يمكنه من استعادة ذاتيته الحضارية[xlv].

إن القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ – قادران – دوماً على أن تمكنا المسلم في أية مرحلة من المراحل التاريخية، من العودة إلى "داخل الحضارة" ذلك لأنهما يقدمان له – باستمرار – شحنات الدفع المتجددّة والمتجاوبة مع فطرته الثابتة من جانب ومع أية مرحلة من مراحل الرقي العقلي يستطيع الوصول إليها من جانب آخر[xlvi].

إن التصور الإسلامي لسقوط الدول والحضارات، يؤكد على أن أية أمة، مؤمنة كانت أم غير مؤمنة، إنما تحمل مسئوليتها كاملة إزاء نفسها، أمام الله وأمام التاريخ، ولن تحمل تبعة أمة أخرى إلا بالقدر الذي تفرضه عليها مسئوليتها ذاتها تجاه الإنسان والعالم، فكما أنه على المستوى الفردي يؤكد القرآن على مسئولية الإنسان عن أفعاله فحسب، كما في قوله تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} النجم: 39 ، فكذلك الحال على مستوى الأمم والجماعات {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} البقرة: 134. وهذه المسئولية المستقلة إزاء الذات الجماعية تجيء تأكيداً للارتباط العادل الوثيق بين التجربة الحضارية وبين مصيرها الذي تؤول إليه تقدماً وتطوراً أو تأخراً وانحلالاً[xlvii].

5) خطوات العلمية والعملية للنهضة الحضارية:

لا يمكن لشعب أن يفهم مشكلته النهضوية ما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها، فالحضارات المعاصرة والماضية والقادمة، عناصر للملحمة الإنسانية منذ فجر القرون إلى نهاية الزمن، فهي حلقات لسلسلة واحدة منذ أن هبط آدم على الأرض إلى آخر وريث له فيها، ومن ثمّ فإنّ أهم ما يمكننا الختم به من آراء ابن نبي في الحضارة كونها مفهوما مركبا يتماشى مع الظاهرة الحضارية في نشأتها وتطورها وأفولها، إذ هي في فحواها انسجام لجهود الإنسانية مع السنن الإلهية في النهوض المادّي والمعنوي في شتّى المجالات الإنسانية والدينية العلمية والعملية التربوية.

خطوات العلمية التربوية:

1. الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

فهي أعظم وسائل قيام حضارتنا الإسلامية، إذ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما أصلا منهج التلقي، والتمسك والاعتصام بهما كفيلان – بإذن الله – بحماية الفرد والمجتمع، وبتنميته وتطوُّره، وأيُّ جهد روحي أو تربوي أو سياسي أو دعوي أو حركي، وأي إضافة علمية أو فكرية أو ثقافية، وأي بحث ينجز، أو كتاب يؤلَّف، وأي مؤسسة تقوم، وأي تجربة أو خبرة تستمد مقوماتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يمكن أنْ تقود جميعها إلى المطلوب، إذا لم يكن هناك انحراف في الفهم[xlviii]، فخصوصية كل مجتمع لابد أنْ تنعكس بشكل أو آخر على مشرعه الحضاري، وأي إخلال بالاستعارة أو التزوير أو الترقيع لابدَّ وأنْ تشكِّك في جدوى ذلك المشروع، وفي مصداقية ذلك المشروع، فضلاً عن أنَّها تجرح أمانته في التعبير عن الواقع الذي يتعامل معه، وعلى هذا فأهم خصوصية في الحضارة الإسلامية متمثلة بذلك الوحي الإلهي، فهو سرُّ نهضتنا[xlix].

2. ارتكاز على العلم واحتراز من التكديس:

اعتبر مالك بن نبي أن كل محاولة للبناء الحضاري، لابدّ أن ترتكز على العلم إذا أريد لها النجاح في تحقيق مقاصدها، ولهذا فعلاج مشكلات المسلمين لابدّ أن يراعي هذا المنطلق، كما ينبّه مالك بن نبي المسلمين محذّرا لهم ممّا أسماه ظاهرة التكديس التي تعدّ مظهرا من مظاهر عجز العقل المسلم عن التعامل الإيجابي مع ما يسمّى الحضارة المعاصرة، عندما اتّجه المسلمون إلى التعامل مع منتجاتا بدلا من محاولة فهم أسرار هذه التجربة وجذورها التاريخية، ومن ثمّ الاستفادة من ذلك في بناء حضارة اسلامية جديدة، فجدّ مالك بن نبي هنا ونحن نناقش موضوع طبيعة المعرفة، يشير إلى أنّ مفهوم التكديس كظاهرة مرضية لم تتوقف تداعيتها على مستوى

الوسائل والمنتوجات المادية فقط، وإنما تجاوزت ذلك إلى مايسمى عنده تكديس المعلومات والأفكار، وهذه اللفتة ملاحظة منهجية مهمة للتمييز بين العلم كقواعد وقوانين تفهم وتستوعب لتصبح موجّهات للتفكير والتصرف لدى الإنسان وبين المعلومات كمخزون كمّي لا يحمل بالضرورة ما يساعد الإنسان على المواجهة الناجحة لمشكلات الحياة الواقعية، إذا علمنا أنّ العلم كما يؤكد ذلك مالك بن نبي، هو الجهد الذي يسعى من أجل البحث عن الحق والحقيقة في كل ميدان، في الأخلاق والتشريع والاجتماع والطب والطبيعة وغير ذلك[l].

3. تنقية فكر الإنسان:

ففكر الإنسان مرتبط بتقدم الأمة أو تأخرها ولتقدم الأمة لابد على الإنسان أن يعمل على تنقية فكره من كل أنواع التخلف والقابلية للإستعمار والأفكار المميتة والقاتلة، فالأولى ورثها المجتمع عن ما بعد الموحدين وهذه الأفكار لم تولد في باريس ولندن وإنّما ولدت في الجزائر وتونس والقاهرة، وفاس، أما الأفكار القاتلة نستعيرها من الغرب والتي أطلق عليها مالك بن نبي القابلية للإستعمار، التي نعتبرها معرقلا لحركة النهضة لهذا بلغ على تنقية الفكر من هذه الرواسب لكي يستطيع تدعيم عالم الأشياء ويضرب لنا ابن نبي أمثلة بتجارب الغرب، فألمانيا في حرب 1945 فقدت عالم أشياءها حيث دمرت وأتلفت آلاتها وبنوكها ولكنها لم تفقد عالم أفكارها واحتلت مكانتها السياسية في العالم وحققت ثقافة، والتي يراها بن نبي أنها تلازم الإنسان وهي الدستور الخلقي والذوق الجمالي والمنطق العلمي والصناعة، ومن هنا فلا سبيل لعودة الثقافة لوظيفتها الحضارية إلا بتنظيف الفكر من الحشو والإنحراف وهذا ما يسميه بن نبي "بالحرفية الثقافية"[li].

4. الحفاظ على وحدة الأُمَّة:

جاء الدين الإسلامي والعالَم يضجُّ بالفرقة والضياع والتيه، وكان مِن أكبر الأمور التي أكَّدت الشريعة الإسلامية على المحافظة عليها هي التوحُّد تحت مِظلّة هذا الدين العظيم؛ {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} آل عمران: 103، فكان مِن أهمِّ الوسائل للحفاظ على ديمومة الحضارة الإسلامية هو توحُّد المسلمين. لقد حملت دعوات الإقليمية والقومية رياح العصبية والعنصرية الغربية وكانت محاولة خطيرة لوضع الحواجز التي تجمعها رابطة العقيدة والثقافة والتوحيد، ولقد كان هدف هذه الد عوة إعلاء شأن القوميات حتى في الأمم الإسلامية ذاتها، فضلاً عن فصل هذه الأمم عن الفكر الإسلامي، وفصل العرب عن الامتداد الإسلامي[lii]. إنَّه لمن المحزن والمؤسف: أنَّه لم تُتخذ أو لم تتحقق بعدُ خطوة عملية جادة مِن أجل وحدة الأُمَّة، على الرغم من وحدة العقيدة التي تربطها، وعلى الرغم من تجاور الأرض، وتشابك المصالح، وتشابه الطبيعة الجغرافية والمناخية، واتفاق العادات، والعبادات، والأخلاق، والسلوك، ووحدة الأعداء، ووضوح الرؤية لدى الكافة[liii].

خطوات العملية التربوية:

1. التربية الأيديولوجية (المفهومية):

والمقصود بالأيديولوجية أو التربية المفهومية والمنظومة الفكرية هو: "مجموعة الأفكار والمفاهيم التي تنتشر في ثقافة ما وتشكل إطارها المرجعي، وتتعلّق الإيديولوجيا أو المفهومية بالمنظومة الفكرية المؤطرة للمجتمع"[liv]، حيث تحدّد طبيعة علاقة الأفكار التي يحملها الإنسان بالمعتقد الديني والذي اعتبره مالك بن نبي ظاهرة كونية تتحكم في فكر الإنسان وحضارته كما تتحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها، وعليه فإنّ الفكرة الدينية تنظم سلوك الإنسان وتقوي العلاقات الاجتماعية وعلى هذا يصف مالك بن نبي

العنصر الديني بوصفه "عامل تنظيم نفسي فضلا على أنه يغذّي الجذور النفسية العامة، يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكون الأنا الواعية في الفرد، في تنظيم الطاقة الحيوية التي تصفها الغرائز في خدمة الأنا"[lv].

وعليه فإنّ التربية الإيديولوجية أو المفهومية تختص بالجانب الفكري (المفاهيمي) لدى الإنسان في تطوير فكره وتكوين وعيه النوعي، يعتبر أساس في بناء الإنسان لا يمكن إهماله وتجاهله، فإنها تعدّ أساسا في بناء إنسان تربوي يفي احداث فراغ فكري فيصرح مالك بن نبي قائلا: "كل فراغ ايديولوجي لا تشغله أفكارنا، ينتظر أفكارا منافية لنا"[lvi].

2. الإفادة مِن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة:

بما أنَّ التربية هي عملية توجيهية اجتماعية؛ تتَّخذ من التعليم أدا ة؛ لنقل الثقافة، وتطبيع الأفراد، وتغيير السلوك والاتجاهات؛ فإنَّ الإعلام – أيضاً – هو في أساسه عملية توجيه للأفراد، وذلك عن طريق تزويدهم بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق المؤكَّدة بقصد مساعدتهم في تكوين رأي عام صائب حول حدث من الأحداث أو مشكلة من المشكلات[lvii]، وفي هذا المجال نذكر بعض الوسائل:

1. العمل على تكثيف البرامج التوعوية الإسلامية في القنوات الإعلامية، وشبكات الإنترنت، واختيار الشخصيات المحبوبة والمؤثرة والمتزنة فكرياً لإعداد هذه البرامج وتقديمها، وبالذات البرامج التي ترشد إلى تفعيل دور المؤسسات الاجتماعية، والتي تعرض آراء العلماء والمفكرين، والتي تعمل على توعية النشء بالمشكلات الاجتماعية، والطرق المثلى لحلها، والتي تزيد من وعي المسلم بما يحيط به من تحديات، وتعمّق شعوره بالانتماء إلى وطنه وأُمَّتِه، وتالياً تسهم في البناء الحضاري للأُمَّة الإسلامية.

2. الاهتمام بإعداد رجال الإعلام إعداداً صحيحًا؛ إذ أنَّهم يُعَدُّون الناطقين الرسميين باسم الأُمَّة، وهم المدافعون عنها وبلسانها، وهم الراصدون والمحلِّلون والمتصدُّون لكلّ خطوات الأعداء الفكرية المستهدفة للأُمَّة؛ لذا يجب اختيارهم من الثقاة والدعاة والرعاة المخلصين؛ الذين يعملون جاهدين على تحقيق مصالح الأُمَّة.

3. تحجيم الخلافات بين المسلمين، وتحاشي عرضِها على وسائل الإعلام ؛ لأنَّ ذلك من شأنه أنْ يؤجج نيران الفتن والأحقاد، ويبعدنا عن قيام حضارة يُقتدى بها[lviii].

3. التربية الفنية والمهنية:

يرى بن نبي أن الحرفة والصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وبناء مجده، وهي بالنسبة للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه، لذلك يجب مراعاة هذين الاعتبارين في كل فن، ويحث مالك بن نبي الى ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني ليحل نظريا وعمليا مشكلة التربية المهنية تبعا لحاجات البلاد، وهو يرى بأن تعلم العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية، أو الاعتماد على وعود الساسة أمر مخيب للآمال ولا يفي بالغرض من تحقيق الحاجات الفردية أو المجتمعية للأمة، ويرى أن الحل الوحيد منوط بتكوين الفرد تكوينا صحيحا يقوم على التجربة العملية[lix].

4. التربية الاجتماعية:

لا يمكن الانتقال إلى مجتمع الحضارة أو تظهر فاعلية الأفكار، دون بناء شبكة علاقات اجتماعية متماسكة في المجتمع، فإذا كانت الحضارة عملا متجانسا من بين عوالم: الأشخاص والأفكار والأشياء، فإنه لا يمكن تصور هذا التجانس دون وجود شبكة من العلاقات الضرورية التي تعدّ معيارا لقوّة العمل ورمزا لعمق تأثيره، والتربية الاجتماعية في نموذج مالك بن نبي هي العمل الأوّل الذي

ينبغي أن يقوم به المجتمع في طريق التغيير الحضاري، وهي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، وكمثال على ذلك شبكة العلاقات الاجتماعية التي ظهرت بين المهاجرين والأنصار في المجتمع الإسلامي التاريخي الأول.

وتسعى التربية الاجتماعية في هذا النموذج إلى تحويل الإنسان من كونه فردا، إلى أن يصبح شخصا، وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع، وكذا تحقيق الانسجام والتآلف والتآزر بين الأشخاص المكونين لشبكة العلاقات الاجتماعية، والذين يؤدون نشاطا مشتركا في المجتمع[lx].

ويستنتج بذلك بالإضافة إلى كل هذه الجوانب المستهدفة (التربية الإيديولوجية، والتربية الإفادة من وسائل الأعلام والاتصال الحديثة، والتربية الفنية و المهنية، والتربية الاجتماعية) نجد التعليم، هو اللبنة الأساسية لأنه وسيلة من وسائل التمكين في الأرض، فيه تتفوق الشعوب المتحضرة وبه تقود العالم ونستطيع اللحاق بركب الحضارة ومسيارتها، حيث نلاحظ أوّل كلمة نزلت في القرآن "إقرأ" من سورة العلق، فإنّ أوّل ما طلب من الناس أجمع هو العلم، قبل العبادة وغيرها من الأشياء، وفي كتابه تعالى يقول: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} العلق: 05، وفي كتابه العزيز يقول عز وجل: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} الزمر: 09، ولهذا نجد مالك بن نبي يحثّ كثيرا على تعليم الإنسان والذي يعتبر هو أساس بناء هذه الأمة، ومن مظاهر التمكين التي يقدمها العلم حسب مالك "إنّ نظام العالم المعاصر العلمي والتكنولوجي الذي قامت منظومته الفكرية والثقافية على المنهج الرياضي والتجريبي حصل على قدرات إجرائية هائلة زودته من مظاهر التمكين والتنبؤ والتحكّم والتصرّف، فالتنبؤ يجعل الإنسان ينم معرفة جيّدة بالقوانين التي تتحكم في الظواهر[lxi].

6) النتائج:

1. يُعد مالك بن نبي أحد أعلام الفكر الإسلامي، فقد ساهم في مؤلفاته بحلول لمشكلات الحضارة، وفي تكوين فكره الثقافة العربية الإسلامية من البيئة الأسرية، وتأثره بالحركات الإصلاحية، والثقافة الغربية بحكم حياته فيها، وتأثره بأُدباءها ومفكريها.
2. يرى مالك بن نبي أنّ الحضارة هي الركيزة الأساسية لدراسة حركة التاريخ في المجتمعات، وهو ما يمكننا من التعرف على المتغيرات العمرانية والاجتماعية، وفهم السنن التاريخية في إطار حركته ودوراته، والاستفادة من هذا ضمن البحوث والدراسات.
3. يرى مالك بن نبي أن دراسة تجارب الحضارات الأخرى مهم جدًا لتخطي أزمة الحضارة في العالم الإسلامي، فدراسة التجارب الحضارية تفسر لنا الظواهر، والسنن الإلهية، وكيفية التعامل معها، وتجعلنا نتعرف على موقعنا في التاريخ وكيفية الرّقي والتقدّم مستفيدين من التجارب الحضارية السابقة لإصلاح مشكلات الحضارة.
4. تعدّ رؤية مالك بن نبي للحضارة، رؤية تطور وتقدم، وليس رؤيته ثبات وسكون، فمفهوم الفعالية لديه يعدّ أساس النشاط الحضاري، بحيث لو حلّ السكون محل التقدّم والتطوّر، أو لو حلّت السلبية محل الفاعلية لتوقف الركب الحضاري وتقهقر.
5. اعتبر مالك بن نبي أن العقيدة هي أساس هذه الفعالية، فالفعل الإنساني يرتبط لديه بفكرة تمثّل موضوعاً واضحاً، ينتهي إلى التنفيذ من خلال الإرادة. وبيّن مدى ثراء العقيدة الإسلامية، في تحقيق هذه الفعالية، موضحاً أن العقيدة من

خلال النظر والعمل واقترانهما في الإسلام، تؤدي إلى تحقيق مستويات رفيعة في مختلف مناحي ضروب النشاط الحضاري.

(i) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 4560.

(ii) ينظر: العين (408/3)، تهذيب اللغة (64/6)، المحيط في اللغة (401/3)، لسان العرب (245/7)، مختار الصحاح (284/1)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي (628/2)، المكتبة العلمية، بيروت، القاموس المحيط ص:846،847، تاج العروس (98/19- 102)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (2293/3).

(iii) ينظر: معجم مقاييس اللغة(361/5)، ومجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ص: 845، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ – 1986م، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، وتاج العروس (242/9).

(iv) ينظر: التحرير والتنوير (39/28).

(v) محمود إبراهيم رازن، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق، 2003م، عمان، ص 20.

(vi) جبها مي جيرارد، موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، ط 1، مكتبه لبنان، بيروت، (2001/3).

(vii) عبد الإله بلقزير، الثقافة العربية في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 211.

(viii) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17، ص 103-106.

(ix) هو: الإمام العلامة حجة العرب أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسول الله ﷺ الأنصاري البصري النحوي صاحب التصانيف ولد سنة نيف وعشرين ومئة. ويقال: إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 494.

(x) أبو الحسين أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م، ج 2، ص76، مادة حضر، وهذا المعنى الذي استعمله القُطامي، "مفتخراً ببداوة قومه، مستخفّاً بساكن القرى والمدن". ينظر: د. محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية ط 1، بيروت، 1401هـ / 1981م، ص 5.

(xi) ابن عباد، كافي الكفاة إسماعيل الصاحب، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسم آل ياسين، ط 1، بيروت، عالم الكتب، 1414هـ / 1994م، ج 2، ص 439، مادة حضر.

(xii) مجمع اللغة العربية القاهري، المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 1، ص 180.

(xiii) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص 172.

(xiv) د. الشوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ط 2، بيروت، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1417هـ / 1996م، ص 20.

(xv) د ابراهيم سلمان الكروي، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1999م، ص 13.

(xvi) د. إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط 3، عمان 1991م، ص 247.

(xvii) مالك بن نبي، دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1991م، ص 10 2.

(xviii) عبدالله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2012م، ص 51.

(xix) العابد ميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013 - 2014م، ص 44.

(xx) الزوايا القرانية، منها الإصلاحية على منهج كتاب الله وسنة نبيه، ومنها المضللة البعيدة عن المنهج الرباني؛ ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، ط 1، مكتبة الرضوان، الجزائر، 2008 م، ص ص 5 ، 6.

(xxi) انظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1984م، ص 15، 16.

(xxii) عبدالله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، ص 55.

(xxiii) مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ص 24.

(xxiv) عمر كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي "مسار نحو البناء الجديد"، دار الفكر، دمشق، 2013م، ص 18.

(xxv) المرجع السابق: ص 18.

(xxvi) المرجع السابق: ص 73 ، 74.

([xxvii]) د. غازي الشمري و د. جعفر ياشوش، مالك بن نبي بين التّمثّل والإبداع، دار نينوي، سورية، دمشق، ط 1، 2017م – 1438هـ، ص 52–54.

([xxviii]) أنظر: مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ص 126، 128.

([xxix]) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 26، 27.

([xxx]) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 22.

([xxxi]) المرجع السابق: ص 23.

([xxxii]) المرجع السابق: ص 26.

([xxxiii]) المرجع السابق: ص 41، 42.

([xxxiv]) جيلالي بوبكر، الإصلاح والتجديد لدى محمد إقبال ومالك بن نبي، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص 46.

([xxxv]) المرجع السابق: ص 04.

([xxxvi]) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 4، 1984م، ص 71.

([xxxvii]) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط 3، بيروت، لبنان، 1969م، ص 23.

([xxxviii]) Noureddine Boukrouh, vivre d'Algérie, articles de presse (1970-1989), Ed.S.E.C Alger, p152.

([xxxix]) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط 1، ص 41.

([xl]) المرجع السابق: ص 159.

([xli]) مالك بن نبي، فكرة الأفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، ص 84 ، 85.

([xlii]) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 45 – 47.

([xliii]) مالك بن نبي، تأملات، ص 95.

([xliv]) مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص 57، 58.

([xlv]) انظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 256، وما بعدها.

([xlvi]) د. عبد الحليم عويس، دورية الحضارة الإسلامية، دراسة بالمسلم المعاصر، 1981م – 1401 هـ، ص 27.

([xlvii]) التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 263، 264.

([xlviii]) د. عماد الدين خليل، في المشروع الحضاري الإسلامي، ص 1.

([xlix]) محمد مسعد ياقوت، حوار الحضارات وخناجر في جسد الاسلام، ص 25.

([l]) مالك بن نبي ، أعمال المستشرقين، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م، ص 48.

([li]) مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 81.

([lii]) الأستاذ أنور الجندي، الفكر الإسلامي والتحديات التي تواجهه في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، ص 1.

([liii]) د. محمد طاهر حكيم، المسلمون على مشارف القرن الواحد و العشرين، بحث في مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي، العدد 114، ص 56 .

([liv]) محمد سيلا، الإيديولوجيا نحو نظرة متكاملة، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1992م، ص 14.

([lv]) عمر النقيب، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة، نحو نظرية تربوية جديدة للعالم الإسلامي المعاصر، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، ط 3، ص 70.

([lvi]) مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الرشاد، بيروت، ط 1، 1969م، ص 45.

([lvii]) محمد أحمد موسى، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ص 199.

([lviii]) محمد أحمد أمل، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، ص 137 – 139.

([lix]) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، ط 4، 1984م، دار الفكر، بيروت، ص 88.

([lx]) فازية بوتلجة، مالك بن نبي وفلسفة البناء الحضاري بالبعد التربوي، مرجع سابق، ص 275.

([lxi]) عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي (عالم الأفكار)، ط 2، 2007م، ص 52.